النبات في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بين الممارسات الطبية والطقوس السحرية.

Plant in the middle Maghreb during the mesozoic Be tween médicinal practices and rituels magical.

حبيبة بن يحي *

جامعة باتنة–1–

habiba.benyahia@univ-batna.dz

مخبر: دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع

صلاح الدين هدوش

جامعة باتنة–1–

salaheddine.heddouche@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/27 تاريخ القبول 2023/04/17 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

نظرا لكون النباتات من العناصر الطبيعية، التي تمكن الحياة فوق كوكب الأرض واستمرارها، وقد حاول الإنسان استغلالها في شتى مجالات حياته، فمن مجرد غذاء إلى صناعة ودواء، حيث وصل به الأمر إلى استخدامها في خلطات سحرية، محاولة منه قضاء ما عجز عنه، وكان خارج طاقته في مجالات معينة، وقد حاولنا في موضوعنا هذا ابراز بعض جوانب استخدام النبات في المغرب الأوسط من الجانب الطبي والممارسات السحرية وذكر أهم النباتات المستخدمة لهذا الغرض وبعض طبقات

* المؤلف المراسل

المجتمع التي مارست التطبيب لعلاج أمراض معينة بنوع محدد من النباتات، والاغراض السحرية التي استعملت فيه نباتات ذات خواص معينة.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط؛ العصر الوسيط؛ النباتات الطبية؛ التسحير؛ الطقوس.

Abstract:

Due to the fact that blants are Natural elements that enable life on the blanet and its continuity, and man has tried to exploit them in various aspects of his life, from mere food to industry and medicine, as he came to use them in magical mixtures, trying to spend what he was unable to do, and he was outside lts energy is en certain areas, and we gave tried in this topic to highlight some aspects of the use of plants in the middle Maghreb from the medical side and magical practices and mentioned the most important plants used for this purpose and some layers of society that practiced medicine to treat certain diseases with a specific type of plants, and the magical purposes in which plants of special interest were used certain properties.

key words:central Maghreb; the médiéval era; magical; médicinal plants; rituels a .

مقدّمة:

حاول الإنسان خلال آلاف السنين التي عاشها على وجه الأرض استخدام مختلف أنواع النباتات التي تنمو حوله، وقد اختبر صفاتها وأحوالها باحثا في ذلك عن العلاج لمختلف الأمراض التي قد يتعرض لها ومنهم إنسان المغرب الأوسط، وخلال عملية بحثه ورحلاته الاستكشافية في عملية الطب والتداوي من هذه الأمراض، اكتشف من النبات وأنواعه ما يضره وينفعه.

ولقد إحتلت النباتات مكانة مميَزة في حياة إنسان المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، حيث دأب على معرفة الضارة والنافعة منها في حياته إلى أن وصل لدرجة استغلالها وممارستها من طرف الكثير من الناس في مجال العلاج غير الشرعي ألا وهو

ما يسمى "بالتسحير"، فاستخدموهَا في أمور غيبية رغبة في السيطرة على عقول الناس وإيهامهم بعلاج وحل مشاكلهم اليومية.

وانطلاقا من ذلك اجتهد البعض في دراستها وتصنيفها إلى ما هو دواء وترياق لإنقاذ سكان المغرب الأوسط، وما هو سام ومضر بصحتهم مما يؤدي في كثير من الحالات إلى الوفاة، وبناءا على ذلك جاءت معالجتنا لهذه الدراسة من خلال طرح الإشكالية التالية: ماهي أهم النباتات المستخدمة في مجال الطب والتداوي في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط والتي وصلت إلى حد التسحير؟

أهداف الدراسة: معرفة بعض أسماء النباتات المستخدمة في التطبيب والسحر في آن واحد ومحاولة معرفة بعض من تلك الممارسات في المجالين.

منهج الدراسة: بما أن الموضوع تاريخي، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي لدراسته من خلال ما جاء في المصادر والدراسات التاريخية حول الموضوع وفحصها.

1-أهم النباتات الطبية :

كان لإنسان المغرب الأوسط إهتمام كبير بصحته فطالما بحث عن العلاج لعلله وكل ما يؤلمه، ونظرا لواقع الطب أنذاك، اعتمد في غالب الأمر على العلاج بأدوية من خلطات ووصفات نباتية بدرجة أولى.

أ-مفهوم الممارسة الطبية:

يعرفها ابن خلدون على أنها صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بمزج الأدوية وقواها، وعلى المرض

بالعلامات المؤذن بنضجه وقبوله الدواء أولا في السجية والفضلات والنبض محاذين لذلك قوة الطبيعة فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض[1].

ب–أهم النباتات الطبية:

اعتمدت العلاجات الطبية في العصور الوسطى على الأعشاب والعقاقير كأدوية ولقاحات بالدرجة الأولى في حياة البشر، وحظيت هذه الأخيرة بمكانة هامة لدى أطباء المغرب الأوسط المهتمين بدراسة مختلف أنواع هذه العقاقير، ومن بينهم أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد الثغري التلمساني الذي الف معجما في الطب و فحواه مجموعة من الأعشاب التي كانت تستعمل في العلاج،[2]و الطبيب الأديب النباتي النخبة أبو العباس أحمد بن شعيب أحد كبار أطباء عصره ومن الذين كانت لهم معرفة بالنباتات والأشجار إلى غير ذلك[3]، مجهزين في ذلك مختلف أنواع الترياق والدواء، فاشتغلت فئات معيَنة من المجتمع بهذا المجال منها ما يسمى بالشرابين الذين يبيعون عقاقير عبارة عن سوائل تصنع من مستخلصات النباتات والعسل، ومنهم العطارين الذين يبيعون الأعشاب الطبية المختلفة إلى جانب العطور والبهارات، و أيضا فئة الصيادلة المتخصصين في صناعة وحفظ الأدوية والعقاقير البسيطة والمركبة[4].

سكان المغرب الأوسط وبمختلف طبقاتهم خاصة الأطباء والعشابين، منهم من حاول الإستفادة من الطبيعة، ومن أنواع النباتات التي تزخر بها المنطقة قصد التداوي، و دونت الكثير من المؤلفات في المجال إحتوت أنواع متعددة من الأدوية ذات المصدر النباتي، وأسماء نباتات وأعشاب مع خصائصها العلاجية، وحتى الكمية الواجب التقيد بها في بعض الأحيان، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر ما كان يستعمل من نباتات لهذا الغرض ، فمثلا لعلاج سم العقارب اتخذوا نبات الفوليون، التي كانت تنبت وتتواجد بالقلعة الحمادية، حيث يذكر الإدريسي الذي عاش خلال فترة { 493-559هـ_ 1100-1165م}في هذا الصدد أن أهل القلعة الحمادية

كانوا يتحرزون منها ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني،[5] ويعرفها ابن حمادوش الجزائري{ولد،1107هـ- 1695م} هي نبات فودنج ومنه البري وجنس يسمى حبق الماء، ويتخذ بطبخه فينتفع منه وينفع من نهش الهوام ويخرج الهواء من الأمعاء، وينفع من السعلة والجرب والحكة وفيه قوة ترياقية كما سبق ذكرها[6].

هذا وقد أشار الإدريسي خلال وصفه لمدينة بجاية لجبل ميسون الذي تنبت فيه جملة من النباتات ذات الاستخدام الطبي بحيث قال عنه: "أنه جبل سامي العلو صعب المرتقي في أكنافه جملة من النبات المنتفع بها في صناعة الطب مثل: شجر الحضحض والسقولوفندوريون والبرباريس والقنطاريون الكبير والزراوند والقسطون والافسنتين."[7]

إكليل الجبل: وقد أشار إليه الغساني في كتابه حديقة الأزهار، وصنفه ضمن النباتات الطبية وأنه يدخل ضمن أنواع الشيحات من جنس التمنس، ويعرف كذلك بالحلحال، ويوجد على ثلاث أنواع له ثمر صلب يعرف عند العامة آزر من منافعه محلل للرياح مفتح لسد الكبد والطحال مقوي للرئة نافع للربو والسعال ويمنع اسراع التعفن[8]، ونبات النوتخة النابطة، العينون الدرياس وبونافع كلها نباتات تحتوي مستخلصات تدخل في تركيبات دوائية لعلاج مثل هذه الأمراض[9].

نبات النارنج: شجرة لا يسقط ورقها كالنخلة وثمرها لا تأكل لشدة حموضتها، وتذكر المصادر ومن بينها ابن الوردي في مؤلفه "منافع النبات" أنه نبات يتطاير منه أهل المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي بصفة عامة، إلا أنهم استعملوها كأحد الأدوية العلاجية عن طريق تجفيف قشرتها وتشرب بالماء لعلاج مغص الأمعاء وإذا اعتاد شربها مع الزيت أخرجت الدود الطويل، و أكل لب النارنج ينفع من التهاب المعدة،

ويخلص الثياب البيض من آثار السواد،[10] ويشير الباحث أحمد عوض الله لفوائد إضافية لهذا الأخير في قوله "فهو مخفض للحرارة ومفيدا للإنتفاخ ويسهل الولادة."[11]

ولعلاج ثقل السمع، فكان بالفصد وتقطير زيت الورد في الأذن فاترا، وفي حالة كانت الضربة قديمة فاستعملوا دهن السوسن ودهن الشبت ودهن الأقحوان، وأيضا دهن الياسمين ونوى الخوخ،[12] والجاوي والزعفران وعصير ناب الذيب إلى غير ذلك،[13] والعديد من النباتات الأخرى التي استفاد منها سكان المغرب الأوسط في علاج مختلف الأمراض والعلَل، ولا تخلو منها المؤلفات الطبية في العصر الوسيط فمنها أيضا: نبات شرس: ويدعى شوكه مغيلة يفيد في إدرار البول، وتفتيت الحصى وتسكين آلام الأسنان، كما استعمل إنسان المغرب الأوسط ولنفس الغرض نبات عاقرحار أوسرغنت: يذكرها ابن البيطار أنها اسم بربري للنبات المعروف ببخور البربر،[14] وذكره ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الامصار في ممالك الابصار بقوله: "يكثر في منطقة قسنطينة وهو بالبربرية تاغندست ويسكن وجع الأسنان."[15] وإضافة لذلك عالجوا أمراض الأسنان بمركب الثوم والحريف {الفجل الوحشي}[16].

أما لعلاج بعض أمراض الكبد، استخدموا عدة نباتات والتي لها استخدامات علاجية متعددة ومن بينها:

نبتة حب الأثل: يعرف عند أهل المغرب الأوسط بسم تاكوت والغربيون، أما نبات حب الأثل المعروف بالفارسية كازمازك، فهو ينفع كعلاج لأمراض الكبد، بالإضافة إلى إستعماله في الدباغة أيضا،[17] كما استعملوا نبات سفندوليون لعلاج وتسكين أوجاع الكبد واليرقان والصرع والبواسير، وهو نبات الكلخ وبالبربرية تافيفرا، [18]ونبات الطباق وقد أشار اليه ابن البيطار وأعطاه تعريفا وفيا لما ينفع كعلاج، بالبربرية الترهلات وهو نبات دقيق الثمر طعمه مر والترهل أيضا يضمد به الكسر وينفع في علاج الكبد، يقتل الديدان وخاصة دود البطن،[19] ونبات الأمليلس ويعرف كذلك

بصفيرا اسم بربري الشجر معروف ببلاد المغرب الإسلامي كافة يقوي الكبد والطحال كذلك[20].

نبات أطربلال: وهو اسم بربري ومعناه رجل الطائر، وأول ما ظهرت منفعة هذا الدواء اشتهر في المغرب الإسلامي في قبيلة بن أبي شعيب من بني وجهان من نواحي بجاية، حيث كان الناس يقصدونهم للمداواة وكانوا يظنون بها ويخفونها عن الناس[21].

نبات جوز مائل: وهي شجرة المرقد لدى عامة المغرب الإسلامي والأندلس ويستعمل كمخدر ومسكر ويفقد الوعي لمن تناول منه[22].

نبتة العنكة: هي اللعبة بالبربرية وتنبت في الجبال خاصة، أما شيح عنب الثعلب فيعرف في بلاد المغرب عامة بحب اللهو ويستعمل في علاج الصداع والتهاب المعدة[23].

نبتة بوقشروم: هو اسم بربري ببجاية وما والاها، كلها نباتات طبية إستفاد منها أهل المغرب الأوسط في العلاج[24].

نبات ناكوت: اسم للغربيون بالبربرية وهم يطلقون هذا الاسم على حب الأثل وينفع في علاج عرق النسا وعضة الكلب وغيرها،[25] ونبات الذراريج: ويعرف بالبربرية أزغلال وينفع في علاج عضة الكلب كذلك[26].

نبات الجرجير: وهو صنفان بري وبستاني وهو كثير الوجود في بلاد المغرب عامة ومصر، [27]وله أصناف أحدها جرجير الماء والثاني نوع من الفجل البري ويعرف بالياسمين أحدهما بوحمو، والآخر الشطبة لان الناس يشطبون بها سرائر دود الحرير لكي ترقى الدودة ومدر للبول هاضم للطعام ومزيل آثار القروح[28].

نبات أكثار: اسم بربري كاف مضمومة وهو معروف عند كافة أهل المغرب بدواء للأورام الصلبة ويأكل مطبوخا كطعام بالبوادي وكذا في أوقات المجاعة، [29]ونبتة بمار: وهو الأقحوان الأصغر ويعرف بالبربرية الملال ويشفي من الأورام الصلبة أيضا[30].

نبات الحبة السوداء: المعروفة بالشونيز والكمون الأسود ويلفظ عند العامة السانوج ومنافعه كثيرة ينفع من وجع الأسنان والصداع البارد وداء الثعلب والزكام وينفع من لدغ العقارب والسموم ودهنه ينفع من وجع الركبتين[31].

ومن بين النباتات المستعملة لعلاج بعض أمراض العين نجد: نبات الحرمل وهو نبات حار يابس ينفع لوجع الظهر والمفاصل ويدخل في أدوية العين وضعف البصر،[32] ونبات البسباس: وهو نوعين ويعرف عند العامة باسليلي يطبخ بالحليب ويسقى به الكسكس، مفتح للشهية معالج للجروح، ويكتحل به أعين الصبيان الذين يشكون الرطوبة في أعينهم،[33] ولنفس الغرض استعملوا نبات القربون ككحل للعين، وهو التاكوت بالبربرية [34].

نبات الحنظل: نبات صحراوي زاحف ومعمر له أوراق كبيرة مجزأة، وينمو بريا، واستعمل في بلاد المغرب الإسلامي كافة والأوسط خاصة كدواء، وينفع في الفالج والصداع وعرق النسا وآلام المفاصل والنقرس وأوجاع الظهر[35].

نبات العرعر: أو السرو الجبلي أشار لها معظم الباحثين ومنهم أحمد عوض الله أنها من النباتات التي كانت تستعمل منذ القدم إلى يومنا هذا في العلاجات، فالسرو نبات معروف في بلاد المغرب الإسلامي عموما وهو من النباتات البرية الشجرية، واستعمله أهل المغرب الأوسط كبخور لطرد الروائح الكريهة من غرف المرضى ويستخرج من خشبه زيت يسمى زيت الكاد التي تستعمل في علاج مرض الجرب عند المواشي وأوراقه تستعمل مسهلا، [36]و ذافنوبداس: وهو بالبربرية أدرار، يهيج القيء ويدر الطمث مسهل[37].

أما نبتة النعناع: وقد جاء ذكرها لدى ابن حمادوش الجزائري، حيث عرفها بأنها نبات عشبي معمر اشتهر في بلاد المغرب الإسلامي كافة والأوسط خاصة كدواء ويعد نبات عطري ذو رائحة قوية ومميزة، [38]ويقوي المعدة ويسكن الفواق ويمنع القيء

وعضة الكلب، ولسع العقرب، وإذا مضغ نفع وجع الأضراس لا سيما إذا دق وخلط بخل وملح[39].

نبتة تاسلغة: وهو العتيون ويسمى عند أهل المغرب الأوسط تاسلغة بالبربرية، وهناك نوعان منها أحدها الكحلي أو الكحيلي وهو من النباتات المعمرة ذات المذاق المر وتشتهر بقوتها الاسهالية ومنقية للدم ومفيدة للنقرس وتسكن أوجاع الظهر والمفاصل[40].

نبات الحلبة: من النباتات الطبية المستعملة في بلاد المغرب الأوسط فهي مقوية للمعدة ويوصف مغلى الحلبة لإدرار اللبن عند الأمهات ومقوية للجسم[41].

نبات فكمريم: عشب حولي، يستخدم هذا النبات لإدرار الطمث وعلاج الصرع ونزلات البرد والصداع[42].

نبات البابونج: استخدم لتسهيل الولادة وإنزال الحصى ويشرب أيضا لإزالة النفخ ومسكن لألم الأحشاء ويبرئ وجع الكبد ويذهب التعب والإعياء والنزلات ويزيل الوسواس والصرع والشقيقة[43].

نبات اللوز: استعمل للسعال، وهو ينفع في علاج أمراض الصدر ويلين البطن خصوصا إذا استعمل مع التين وينفع في علاج عضة الكلب ومقوي للبصر، ويفتح سداد الكلى[44].

نبات الغافث: ويسمى شجرة البراغيث، نافع للأوجاع مفتحا للسدد العارضة فيها، وورق هذا النبات اذ دق ناعما وخلط مع شحم الخنزير ووضع على القروح أبراها[45].

نبات السماق: فهو نافع من القيح الكائن بالأذن، دابغ للمعدة ومقوي لها ويسكن العطش والغثيان الصفراوي ويشهي الطعام بحموضته، وعاقل للبطن وموقف للطمث[46].

نبتة البصل: تستعمل كدواء لطنين الأذن والقيح وكحل وعلاج للماء في العين والبياض، وشربه مع العسل ينفع من لدغ العقارب والأفعى[47].

واهتم الأطباء في ذلك الوقت بالتشريح والعمليات، فاستعملوا في تضميد الجروح الزيت بعد الغليان، والقطران، والسندروس الذي يعرف عند أهل المغرب الأوسط والأقصى بعشبة بلاء وهو يدمل الجروح، [48]والحناء استعملت للكي،[49]وصمغ الصنوبر لإستئصال جراثيم التعفن ،وفي حالات النزيف إستعملوا الصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين، إضافة لدقيق الفول، وإن كان أكثر خطورة فإنهم يلجؤون إلى الخياطة وكي العرق بوسطة قطعة خشب وتضميده بالجاوي بعدها،[50]بالإضافة لرب السفرجل الذي يطبخ جيدا حتى يكون في قوام العسل فينفع في استطلاق البطن ويقطع العطش و القيء الصفراوي، وشراب التفاح بعد إضافة رطل سكر له يقوي القلب، أما شراب التمر الهندي فيعالج به داء الصفراء وينبه شهوة الطعام ويذهب مرارة الطعام كذلك في الفم[51].

وكان لبعض الفقهاء دورا في تحديد كمية بعض النباتات، التي تدخل في التركيبة الدوائية لبعض الأدوية، فعلى سبيل المثال في مسألة التداوي ببعض السوائل، والنباتات المحرمة شرعا أجازوها بكميات محددة، في العلاج، واما ما يفسد العقل يجوز ادخال اليسير منه في الأدوية كجوز الطيب، وحب القرنب بعد تحمصيه فيعافيه الله تعالى من ذلك[52].

والجدير بالذكر أن التطبيب في هذه الفترات، لم يقتصر على فئة خاصة رغم وجود أطباء، وعشابين، وعطارين مختصين في الأمر، فنجد بعض من المتصوفة من إشتغل بمداواة الناس، وإعداد خلطات دوائية من النبات لعلاج مختلف الأمراض، ويعد أبي يعزى{ت:572هـ-1176م} من بين هؤلاء المتصوفة الذين ذاع صيتهم في المغرب الإسلامي كافة، والذي ظهر لنا في صورة صيدلي، من خلال ما يعده من

عقاقير وخلطات، فكان يصنع أقراص مطبوخة من دقيق ثمرة شجر البلوط كترياق للألم والحمى، وإستخدام أوراق نبات الدفلى لعلاج بعض الآلام بعد مضغها، بإضافة أوراق الزيتون،[53] كذلك ابن عرفة كتب لبعض الأدوية بألفاظ أعجمية بخطه على خرقة كتان أزرق، ويجعل فيها بيضة دجاجة، ويشويها في النار فتطيب البيضة، ولا تحترق فيأكلها المحموم، ويجعل قشورها في الخرقة المذكورة ويجعلها في عنقه، فإنه يبرأ بإذن الله ولاترجع الحمى إليه أبدا،[54] كما لجأ المتصوفة في رقيتهم لاستخدام نبات الحناء[55].

ولم يتوقف الأمر فقط في علاج العلَل، وإنما تجاوز إلى العلاج التجميلي لأمراض وعيوب الجسم والعناية بلياقته وتحسين جماليته والحفاظ على شبابه من جهة ثانية، ووقائية من جهة أخرى، فاهتدوا إلى أنواع معيَنة من النباتات لهذا الغرض، ومن بينها شقائق النعمان، جوز السرو، نوار الإهليلج وقشر الرمان، قصب الطرو، سنبل آفيون، شوكران، صفصاف، بذر قطون لاذن،[56] بان والذي ينفع في علاج البرش والنمش الكائن في الوجه وفي الجرب والحكة[57].

هذا وقد تضمنت بعض كتب النوازل أسماء لنباتات وأعشاب من الممكن اتخاذها كأدوية وقائية من بعض الحشرات الضارَة والسَامة داخل المنازل، فلقد جاء في نوازل البرزولي ما يدَل على ذلك من خلال قوله:" ويرش البيت بطبيخ الحنظل وقثاء الحمار وشيْ من حلتيت يرش بيها البيت والأسرة فلا يترك بها محرب، وفرش السرخس لطرد البراغيث والبق"، واستعمل نشارة خشب الأرز بخورا أيضا لنفس الغرض، كذلك ماء الترمس والتبخير بالعلق ودهن البدن بدهن الانسنين لطرد الحشرات والبق خاصة،[58] سرغنت: أوسرغنت وهو اسم بربري للنبات المعروف ببخور البربر الذي استعمل كبخور في المنازل[59].

1- أهم النباتات المستخدمة في التسحير:

باعتبار النبات عنصر أساسي ومطلب ضروري للعيش فوق الأرض فأهميته لا تقل عن أهمية الماء والهواء فهو غذاء وهواء ودواء لكن طبيعة الإنسان الفضولية جعلته يستخدمها في أغراض غير عادية {كسحر}للحصول على ما لم يستطيع الوصول له أو الحصول عليه.

–أ–مفهوم الممارسة السحرية:

تعتمد الممارسات السحرية على أداء بعض العمليات، مستعينة ببعض العناصر أو المقومات الأساسية كالأِفعال والحركات والكلمات المنطوقة أو المكتوبة أو كليهما، والإعتقاد بأن تلك الممارسات هي سبب حدوث الظاهرة، ويمكن للساحر من خلال فهمه لذلك النظام إخضاعه لإرادته، ونجد أن بعض الثقافات البدائية لا تستطيع التمييز بين الممارسات الدِّينية والممارسات السحرية[60].

–ب– أهم النباتات المستخدمة في التسحير:

لم يقتصر استخدام النبات في العلاج الطبي لمختلف الأمراض التي قد تصيب الإنسان، بل تعدى ذلك إلى استخدامه في ممارسة الطقوس السحرية، فالسحر قديم قدم الحضارات الإنسانية، استعان به الانسان في تفسير بعض الظواهر وتحقيق الرغبات وحل بعض المعضلات التي يواجهها في عالمه، بحيث كان للسحرة دراية بالأعشاب والعقاقير وخواص بعض النباتات، فاستعملوها في وصفات سحرية علاجية مفيدة للجسم مأخوذة من الأعشاب والتوابل،[61] ومنها ما انتشر استخدامها في طقوس وممارسات غيبية مضرَة بالإنسان ، هذا وقد تكرر بعضها في كل مرة ومناسبة حتى تعوَد عليها الناس وتحوَلت إلى تقليد لابد منه في مناسبات معيَنة.

وتعد المرأة هي الأكثر إقبالا على هذه الممارسات، ويرجع ذلك في تعاطيها السحر إلى تركيبة المرأة في حد ذاتها المغايرة للرجل إلى حد ما تغلبت عليها العاطفة، وما يصاحبها من غيرة وحسد وحب التملك في ذات الرجل،[62] والعديد من

التمثيلات الاجتماعية الدونية التي تنقص من قيمة المرأة في المجتمع {كالعقم وتأخر الإنجاب وصعوبة الولادة والغيرة على الزوج وجلب الحبيب والخوف من فكرة التعدد ومرض الأولاد}، [63] خطاب يتكأ على بعض الاجتهادات الدَينية في قالب معيَن من الخطاب الشعبي بدافع التشفي أو الاقصاء أو التهميش، [64] فلجأت بذلك في سحرها إلى إستعمال بعض النباتات ذات خواص معيَنة كأحد مكوَنات الوصفات السحرية في صناعة العقاقير، من بينها استعمال مادة الملح أو البقول الجافة منها الشعير، القمح، والفول الٌيابس، حتى بعض الدنانير، وكذلك عن طريق سكب الرصاص وقراءته ،كما أنها تستعين ببعض العقاقير المختلفة وبعض النباتات لعلاج المترددات علٌيها[65].

وقد استغل الساحر خصائص بعض الأعشاب للسيطرة على عقول وصحة الناس مثل القرنفل، و السانوج الأبيض، والأسود، والحبة السوداء، والزعتر والهبالة والصندل، [66] والشب والحرمل، واللذان يضرب بهما المثل في إبعاد العين والأرواح الشريرة والوسواس والأمراض، والحرمل من النباتات التي يعود استعمالها إلى عهد الإغريق حيث إستعملوا مسحوق البذور في علاج الديدان، و يستعمل بخور الحرمل لعلاج الصداع الروحاني الناتج عن الأرواح الشريرة ويبطل السحر داخل البيت، ولايزال يستعمل لنفس الغرض في الطب الشعبي، [67] بحيث يقوم الساحر بأخذ شيء من الشب والحرمل، وتمريره على رأس المريض وهو يقول:" ياصحيتها عين بوك وعين أمك.." وغير ذلك من الكلمات وثم يأخذه المريض ويضعه تحت وسادته ويقول: فليذهب المرض ويصيب كلا من الشب والحرمل[68].

كما تلتقط الحشائش التي نمت فوق رأس تمثال ثم تلف في قطعة قماش وتربط حول عنق المريض بخيط أحمر قصد علاج الصداع، [69] واستعملت العديد من النباتات أيضا لذات لهذا الغرض ومن بينها:

نبتة الفيجل: استعملت في العلاج وتعدت إلى عالم السحر والجن، حيث كان يعتقد أن لها علاقة بعالم الجن أو انها الجن نفسه أو تطرد جنيا شريرا وكذا استعمال نبات الحدج لأغراض سحرية[70].

نبات جوز نجاه: والمعروف باسم جوز الجاه وشجرة العجلة، فقد استعملته النساء لسحر أزواجهن وهي تستعمل في المحبة والبغض معا، إذا عمل بها في بداية الشهر عملت في المحبة وإذا عمل بها في اخر الشهر كانت للبغض.

نبات الافيثمون: هو نبات يشبه الزعتر له رؤوس دقيقة خفيفة شبيهة بالشعر {ويسمى لحية أمسون بلغة البربر وينبت في الوطاءات والمناقع الجافة، [71]وله خاصية علاج الكرب والغم،[72]ويشير ابن الخير الاشبيلي أن منها نوع يعد من الأعشاب السحرية والتي قال عنها الادريسي: انه اذا ألقي في النار سطعت منه رائحة الشعر وقد يسمي شعر الغول أو لحى الغول.

نبات الخطمي أو ورد الزينة ويسمى ورد الزواني لأن البغايا يستعملنه في أعمالهن من الإيلاف والاختلاف عن طريق السحر[73].

نبات أطربلال: سبق ذكر هذا النبات، حيث كان الناس يظنون به ويخفونه نظرا لخصائصه السحرية[74].

نبات حب التفريق: المعروف بالبربرية ونقارف يدخله السحرة في أعمالهم للتفريق بين الأزواج[75].

نبات نويفع: يسمى بالبربرية امسخسر لزعمهم انه يبطل فعل السحر.

نبات العوسج: وهي شجرة قصيرة ذات أشواك قال عنه ابن البيطار أن أغصانه إذا علقت على الأبواب ابطلت السحر[76].

ومن الطقوس السحرية التي أصبحت تقليدا مع مرور الوقت في مجتمع المغرب الأوسط بمختلف فئاته وتركيبته السكانية، فمثلا القبائل العربية المستوطنة بالمغرب

الاوسط عمدت إلى طقوس خاصة بغرض مكافحة الجفاف، وذلك بربط بعض فروع أشجار العشر والسلع في أذناب البقر ويصعدونها إلى جبل مرتفع ويضرمون النار فيها زعما منهم أنهم يمطرون من وقتهم،[77] ولنفس الشيء كان سكان المغرب الأوسط يمارسون طقوسا للاستمطار بإحراق البخور ورشه بالحناء، ثم توزيع أكلة الروينة المصنوعة من دقيق القمح على كل الحاضرين عند أضرحة الصالحين[78].

وكان لفئة اليهود نوعا من الممارسات السحرية التي اعتمدوا فيها على بعض النباتات كمكون لهذه العملية ففي سحر دفع العين لدى هذه الفئة ، تذهب امرأة مسنَة إلى النساء مرة واحدة، وتأخذ منهن نقودا وفحما، وتشتري بما تجمعه البخور الذي تعد لإحراقه بإحراق الوسواس والأمراض، وفي المساء تزور المريض الذي يعطيها مائة حبة من الحمص، وتطرق أبواب الديار فتأخذ منهم شيئا من التراب، وتضع بباب كل دار حبة حمص، ثم تأخذ الزرنيخ وتمر به على أبواب ثلاث ديار يسكن كل دار منها أختين إثنين وفي مساء يوم الأربعاء تذهب بهذا الزرنيخ وتضعه بباب الكنيسة والبخور تضعه بدرج الكنيسة فيلقى به في النار بعدما يكون قد التصق به سوء الأشخاص الذي مروا عليه[79].

أمَا بالنسبة للفتيات في سن الزواج والمتأخر زواجهن فإنهن يقمن بطقوس للتبرك من خلال الاستحمام ببئر ماء الأضرحة مع اشعال سبعة شموع بيضاء بجانب عين الماء ونثر خلطة النشور {إسكار}بالأمازيغية، ومباشرة بعد الطقس المكوَنة من الحناء والورد والقرنفل والسواك،[80] وينصحهن العشاب بالتبخر بالعرعار وحرباء بكر، وتهيأ النار في مجمر وترمي الحرباء الحية والعرعار وتعرض نفسها للدخان المتصاعد الذي يعتقد أنه يبطل مفعول السحر المعمول لها كما تستعمل كذلك لعلاج التوكال {تناول سحر}[81].

وبالإضافة الى كل هذه الممارسات، والطقوس التي احتلت فيها النباتات مكانة أساسية وعنصر مهم في العملية، نجد أن إنسان المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عامة تطاير من بعض النباتات والأشجار، واعتبرها مصدر شؤم، فمثلا شجر النارنج، والذي ذكرنا سابقا أهميته الطبية والعلاجية قد كان مصدر شؤم عندهم، نظرا لتخيلاتهم بأنه كان مرادفا لكارثة مدمَرة وعزفوا عن غرسه، بالرغم من أنه يساهم في التخفيف من درجة تبخر مياه السواقي والصهاريج، كونه أيضا أسلوب علمي لترشيد استغلال المياه والتقليل من خطورة الجفاف، وكذا استعماله كدواء طمسته ذهنية التفكير الخرافي،[82] حيث يقول في هذا ابن خلدون "إن المدينة إذا كثر فيها غرس النارنج تأذنت بالخراب حتى أن كثيرا من العامة يتحامى غرس النارنج بالدور تطيرا به. [83]"

خاتمة:

وفي الأخير توصلنا إلى جملة من النقاط أبرزها:

-أن إنسان المغرب الأوسط اجتهد وحاول الاستفادة بأكبر قدر ممكن من النباتات ومستخلصاتها في إيجاد العلاج لمختلف الأمراض التي قد تصيبه أو اصابته.

-صناعة الأدوية والتطبيب بالنباتات لم تقتصر على الصيادلة والأطباء فحسب بل تعدت إلى العشابين والعطارين وبعض المتصوفة.

-لم يكتف باستخدام النبات في علاج الأمراض وإنما وصل للعلاج التجميلي والوقائي.

-خضوع بعض أنواع النباتات للأحكام الفقهية نظرا لخصائص بعضها وتأثيراتها على المريض والمتنافية مع العقيدة الإسلامية في تحديد ما يجوز منها ومقدار الكمية الواجب التقيد بها.

-تحول بعض النباتات من دواء إلى مركب ومكون ضمن الخلطات السحرية يعتمدها ويلجأ إليها بعض فئات مجتمع المغرب الأوسط ظنا منهم أنها تعالج أمراضهم ومشاكلهم التي قد يتعرضون لها ويعجزون عن حلها.

-استغلال فئة معينة من الناس معرفتهم بخصائص بعض النباتات لإيهام الناس بالعلاج وحل مشاكلهم من خلالها.

-تحول بعض الطقوس الشركية السحرية والتي يدخل النبات فيها كأحد عناصرها الأساسية بعد تكررها في مناسبات معينة إلى عادات وتقاليد لدى سكان المغرب الأوسط.

-كان للمرأة في المغرب الأوسط الإقبال الأكبر في استخدام النباتات لممارسة السحر والتسحير على خلاف الرجل بسبب التمثيلات الاجتماعية وضعف شخصية المرأة.

- تطاير سكان المغرب الأوسط من بعض النباتات لاعتقاده بها واعتبارها نذر شؤم.

الهوامش:

[1]- ابن خلدون، مقدمة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص 650.

[2] -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي{1500-1830م}، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص111.

[3]- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعيادة، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص 375.

[4] - أميمة أبوبكر: النساء ومهنة الطب في المجتمعات الإسلامية{ق7-17م}، ملتقي المرأة والذاكرة، القاهرة، ط1، 1999م ص23.

[5] - الادريسي نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة دار الثقافة، القاهرة، 2002م، مجلد الأول ص255.

[6] - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري: كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، دار الكتب العلمية، بيروت، البنان، ط1، ص311.

[7] - الادريسي: المصدر السابق، ص277.

[8] - أبو القاسم الغساني: حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق: محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1981م، ط5، ص16.

[9] – محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في تعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، منشورات الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، تلمسان، 2011، ج2، ص7.

[10] – ابن الوردي: منافع النبات والثمار والبقول، تح: محمود السيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، ص81.

[11] – أحمد عوض الله: العلاج بالأعشاب والنباتات الشافية، دار إقراء، ص242.

[12] - سعيد بنحمادة: الإعاقة الجسدية بالمغرب والاندلس خلال العصر الوسيط، مجلة العصور الجديدة عدد11-12فبراير2014، ص38.

[13] –عبد العزيز عبد الله: الطب الإسلامي وأبعاده في المغرب، منتدي طبي، شبكة ابن مريم، 2015م، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 31/ 5/ 2022م، https://www-ebnmaryam-com ،ص21.

[14] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص 8-9.

[15] – ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ج21، ص78.

[16] – عبد العزيز عبد الله: المرجع السابق، ص 23.

[17] – شكري ابراهيم سعد و آخرون: النباتات الطبية والعطرية والسامة في الوطن العربي، دار مصر للطباعة، الخرطوم، 1988م، ص9.

[18] – محمد ابن تاتو: الأعشاب واستعمالاتها التقليدية بالمغرب، مجلة القوات الملكية المسلحة، العدد 9، 2017، ص2.

[19] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج 3، ص13.

[20] – حلمي عبد القادر: النباتات الطبية، الوكالة الوطنية لحفظ الطبيعة، الجزائر، 1997م، ص 219.

[21] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج 3، ص13.

[22] – مجهول: تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب، مطبوعات معهد العلوم المغربية، 1939م، ج24، ص 442.

[23] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج3، ص 8-9.

[24] – ابن فضل الله العمري: المرجع السابق، ج21، ص38.

[25] –– ابن البيطار: المصدر السابق، ج1، ص 182-183.

[26] –. حمادوش المرجع السابق، ص57.

[27] – ابن فضل الله العمري: المرجع السابق، ج 21، ص78.

[28] –– أبو القاسم الغساني: المصدر السابق، ص72.

[29] – ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج21، ص14.

[30] – ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 67.

[31] – مؤلف مجهول: تحفة الاحباب، المصدر السابق، ص47.

[32] ––ابن حمادوش: المصدر السابق، ص 129.

[33]– حليمي عبد القادر: المرجع السابق، ص 141. –

[34] مؤلف مجهول: تحفة الاحباب، المرجع السابق، ص 35.

[35] – سعد محمد خفاجي: الموسوعة العربية المصورة للعقاقير والنباتات الطبية والتوابل والعطور في تراث الشعبي، منشأة المعارف الإسكندرية، ج2، ص 194-195.

[36] – أحمد عوض الله: المرجع السابق، ص 166.

[37] –. حمادوش المرجع السابق، ص57.

[38] –نزل الديري، نباتات الزينة وتنسيق الحدائق، مديرية الكتب والمطبوعات،1980م، ط2، ص 263.

[39]– ابن حمادوش: المرجع السابق، ص 411.

[40] – حليمي عبد القادر: ا لمرجع السابق، ص، 211.

[41] –– شكري إبراهيم: المرجع السابق، ص 68.

[42] –المرجع نفسه، ص77.

[43] –محمد عبد الرحيم: قصة وعبرة في الطب والاعشاب والنباتات والأغذية، دار الراحب الجامعية، بيروت، لبنان،2004م، ص.28.

[44] – ابن الوردي سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م، ص 332.

[45] – ابن الوردي: منافع النبات، مصدر سابق ص50.

[46] ––أبو القاسم الغساني: المصدر السابق ص282.

[47] – ابن الوردي: منافع النبات، المصدر السابق، ص39-143.

[48] – أبو القاسم الغساني: المصدر السابق، ص 232.

[49] – سعيد بنحمادة: المرجع السابق، ص38.

[50] – عبد العزيز عبد الله: المرجع السابق، ص23.

[51] – مؤلف مجهول: أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة والطبيخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تقديم: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، رباط، ص214-223.

[52] – البرزولي: فتاوى البرزولي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م، ج6 ص534.

[53] --صديقي محمد: لأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين {5-7هـ -11-13م} ، رسالة دكتوراه تخصص تاريخ وسيط وحديث ،كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، تاريخ، جامعة جمة لخضر، الوادي، 2020-2021م ص117.

[54] – احمد بن يحي الونشريسي: النوازل الجامعة، تحقيق: شريف المرسي، دار الأفاق العربية، القاهر، ط1، 2011م، ص171.

[55]– صديقي محمد: المرجع السابق، ص117.

[56] – يعلي محمد: النباتات الطبية والجنسية والتجميلية في النصوص المغربية الوسيطية، أرجوزة بهجة المطالع في الحفظ للجامع لأبي الحسن علي المراكشي القسنطيني، الجمعية المغاربية للبحث التاريخي دار المنظومة عدد1، 2020ص81.

[57] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج3، ص 8.

[58] -- البرزولي: مصدر السابق ج6 ص 484-485.

[59] – ابن البيطار: لمصدر السابق، ج3، ص 8-9.

[60] –بن عاشور زهرة: السحر والشعوذة في الجزائر، جامعة البليدة، ص38.

[61] – سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، {588-927هـ -1192-1152م} رسالة ماجيستر في تاريخ الوسيط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الأثار جامعة منتوري، قسنطينة 2008م ص184.

[62] --تريكي فتيحة: النباتات الطبية والممارسات السحرية في بلاد المغرب والأندلس بين العلم والوهم، مجلة العصور الجديدة، العدد 2، المجلد 8، 2018م، ص32.

[63] – المرجع نفسه، ص 32.

[64] –حم شرقاوي: الممارسات السحرية والعلاجية بالمغرب، مجلة أنثروبولوجيا، العدد 1، مجلد 20، 2020م، ص 76.

[65] – بن عاشور الزهرة: السحر والشعوذة في الجزائر، جامعة البليدة، ص 38.

[66]– بن عفان سهام: استمرارية هيمنة معطيات الثقافة التقليدية المحلية لدى المثقف الجزائري السحر والشعوذة نموذجا، رسالة ماجستير في تخصص علم اجتماع، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس،2015 ص 165.

[67] – الموسوعة الحرة: بوبة علم النبات، 25 مارس 2022.

[68] -- تريكي فتيحة: المرجع السابق، ص 69.

[69] –المرجع نفسه، ص69.

[70] – جمال بامي: المعرفة النباتية بالمغرب بين التراث العلمي والعلاج التقليدي دراسة انثروبولوجيا، الرابطة المحمدية للعلماء المملكة العربية المغربية،2014/10/21م، ص4.

[71] – أبو الخير الاشبيلي: عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطاب، دار الفكر الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ج2ص66.

[72] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج2، ص 8.

[73] – أبو القاسم الغساني: المصدر السابق، ص 60.

[74] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج3، ص13.

[75] – الاشبيلي: المصدر السابق، ص 67.

[76] – ابن البيطار: المصدر السابق، ج1 ص 55.

[77] – عبد الهادي البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات انسان المغرب والاندلس، دار الطليعة، بيروت، البنان، ط1، 2008م، ص 142.

[78] – هناني جيلالي: الممارسات الدينية والطقوسية لطرق الإستمطار ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني {ق7-10هـ-13-16م}، مجلة الأنثروبولوجيا الأديان، العدد 2، 2021، مجلد17، ص186.

[79] – تريكي فتيحة: المرجع السابق، ص 69.

[80] – حنان حمودة: الماء كمنشط أنثروبولوجي الإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب، ص152.

[81] – حم الشرقاوي: المرجع السابق، ص 93-94.

[82] – عبد الهادي البياض: المرجع السابق، ص 152.

[83] – ابن خلدون: مقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003م، ص 297.